اخبار الحمقى والمغفلين

افضنا في الجزء الماضي في وصف كتاب العلامة الكبير ابي الفرج بن الجوزي في اخبار الحمقى والمغفلين ونقلنا شذرات من اوله نقف بالقاريء على روح العصور التي سلفت حتى عهد المؤلف وتمثل أسلوبهم في الكلام وها نحن اولاء ننقل نبذة أخرى منه تجمع بين الأدب والفكاهة والحكمة .

ذكر المؤلف في الباب التاسع من كتابه اخبار جماعة من العقلاء صدرت عنهم افعال الحمق واصروا عليها فصاروا بذلك الاصرار حمقى ومغفلين ، قال من جملته : وقد جرى من خلق كثير من العقلاء ما يشبه التغفيل الا انهم لم يقصدوا ذلك فذكرت منهم طرفاً لشبهه بالتغفيل ، فمن ذلك ماحكي عن بعض المغنين قال : حضرت عند امير لاغنيه فجرى حديث بعض الوزراء فذكرت من محاسنه وكرمه شيئاً لا حركه به ليفعل مثله ثم غنيته :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

فقال لي : قبحك الله ما هذه المعاشرة فاستيقظت وحلفت اني ما قصدته .

ومثل هذا جرى لعبد الله وحسن بن حسين فانه كان يساير السفاح وينظر الى مدينته التي بناها ظاهر مدينة الانبار فأنشده :

الم تر مالكاً اضحى يبني بيوتاً نفعها لبني بُقيله
أيرجي ان يعمر عمر نوح وامر الله يأتي كل ليله

فغضب فاعتذر اليه .

وبينا عيسى بن موسى يساير ابامسلم يوم ادخاله على المنصور تمثل عيسى فقال :

سيأتيك ما افنى القرون التي مضت وما حلّ في اكباد عاد وجُرْهُم

فقال ابو مسلم : هذا مع الامان الذي أعطيت ، فقال عيسى : اعنقت ما أملك ان كان هذا شيئاً أضمرته .

ولما حوصر الامين قال لجاريته : غنني فغنت :

كليب لعمري كان اكثر ناصراً وايسر حزماً منك ضرج بالدم

فاشتد ذلك عليه ثم قال : غنني فغنت غيره :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شكت فراقهمُ عيني فأرّقها ان التفرق للاحباب بكاء

فقال : لعنك الله اما تعرفين غير هذا فغنت :

ما اختلف الليل والنهار وما دارت نجوم السماء في الفلك

الا لنقل السلطان من ملك غاب تحت الثرى الى ملك

فقال : قومي فقامت فعثرت بقدح بلور فكسرته فاذا قائل يقول : قضي الامر الذي فيه تستفتيان . فلما دخل المأمون على زبيدة ليعزيها في الامين قالت : تسليني في غدائك اليوم عندي فتغدى . واخرجت اليه من جواري الامين من تغنيه فغنت :

همُ قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت يوماً بكسرى مراز به

فوثب مغضباً . فقالت له : يا امير المؤمنين حرمني الله اجره ان كنت علمت او دَسَستُ اليها . فصدقها .

ولما فرغ المعتصم من بناء قصره دخل الناس عليه فاستأذنه اسحق بن ابراهيم ان ينشده فأنشد شعراً في صفته وصفة المجلس الا ان اوله :

يا دار غيّرك البلى ومحاك يا ليت شعري ماالذي ابلاك

فتطير المعتصم وعجب الناس كيف فعل هذا اسحق مع فهمه فقاموا وخرب القصر وما اجتمع فيه بعد ذلك اثنان .

وانشد الصاحب بن عباد عضد الدولة مديحة له فيه :

ضممت على ابناء تغلب تاءها فتغلب ما كر الجديدان تغلب

فتطير عضد الدولة من قوله تغلب وقال : نعوذ بالله فتيقظ الصاحب من قوله وتغير لونه .

وقال اسحق المهلبي : دخلت على الواثق فقال : غنني صوتاً عربياً فقلت :

(بادار ان كان البلا محاك) قال : فتبينت الكراهية في وجهه وندمت .

ودخل ابو المنجم العجلي على هشام بن عبد الملك فأنشده ابياتاً حتى بلغ فيها ذكر الشمس فقال : « وهي على الافق كعين الاحول » فأمر ان يوجأ في عنقه وأخرج .

ودخل أرطاة على عبد الملك بن مروان وكان شيخاً كبيراً فاستنشده ما قاله في طول عمره فأنشده

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رأيت المرء تأكله الليالي كأكل الارض ساقطة الحديد
وما تبغي المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد
فاعلم انها ستكر حتى توفي نذرها بابي الوليد

فارتاع عبد الملك وظن انه عناه وعلم ارطاة انه زل فقال : يا امير المؤمنين اني اكنى بابي الوليد وصدّقه الحاضرون .

ودخل ذو الرمة على عبد الملك فأنشده :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كُلى مفرية سرب

واتفق ان عيني عبد الملك كانا يسيلان فظن انه عرّض به فغضب وقطع انشاده وأخرج . ودخل شاعر على عبد الله فأنشده :

شبّ بالليل من عزيزة نار اوقدتها واين منك القرار

وكان اسم والدة عبدالله بن طاهر عزيزة فتغامز الحاضرون واعلموه بهفوته فأمسك .

ودخل رجل على عقبة بن مسلم الازدي فأنشده :

يا ابنة الازدي قلبي كئيبُ مستهام عنهكم ما يؤوبُ
ولقد لاموا فقلت دعوني ان من تلحون فيه حبيب

فتغير وجه عقبة فتطير الشاعر فقطع .

ودخل الرئيس ابو علي العلوي يوماً على بعض الرؤساء فتحادثا فجاء غلام لذلك الرجل فقال : يا سيدي اي الخيل نسرج اليوم فقال نسرج العلوي فقال له ابو علي : احسن اللفظ يا سيدي ، فاستحيا وقال : هفوة .

واجتاز المرتضي ابو القاسم نقيب العلويين يوم جمعة على باب جامع المنصور عند المكان الذي يباع فيه الغنم فسمع المنادي يقول : تبيع هذا التيس العلوي بدينار فظن انه قصده بذلك فعاد متألماً من المنادي فكشف عن الحال فوجد ان التيس اذا كان في رقبته حلمتان سمي علوياً نسبة لشعرتي العلوي المسبلتين على رقبته . ونحو هذا جرى لابي الفرج العلوي فانه كان اعرج احول فسمع منادياً ينادي على تيس كم عليكم في هذا التيس العلوي الاعرج الاحول ؟ فلم يشك انه عناه فراغ عليه ضرباً الى ان تبين ان التيس احول اعرج فضحك الحاضرون مما اتفق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال ابو الحسن ابن الصابي : دخل بعض اصدقائنا الى رجل قد ابتاع داراً في جواره فسلم عليه واظهر الانس بقربه وقال : هذه الدار كانت لصديقنا واخينا الا انك بحمدالله اوفى منه كرماً واوسع نفساً وصدراً والحمدلله الذي بدلنا من هو خير منه وانشده (بدل بالبازي غراب ابقع)

فضحك منه الرجل حتى استلقى وخجل وصارت نادرة يولع الرجل بها .

وهنا ننقل من ابن الجوزي بعض نكات المغفلين من القراء والمصحّفين : ان رجلاً قدم ابناً له الى القاضي فقال : اصلح الله القاضي ان هذا ابني يشرب الخمر ولا يصلي فقال له القاضي : ما تقول ياغلام فيما حكاه ابوك عنك قال : يقول غير الصحيح اني اصلي ولا اشرب الخمر فقال ابوه : أصلح الله القاضي أن تكون صلاة بلا قراءة فقال القاضي ياغلام تقرأ شيئاً من القرآن قال : نعم وأجيد القراءة فقال بسم الله الرحمن الرحيم

علق القلب ربابا بعدما شابت وشابا
ان دين الله حق لا اري فيه ارتيابا

فقال ابوه والله أيها القاضي ما تعلّم هاتين الآيتين الا البارحة لانه سرق مصحفاً من بعض جيراننا . فقال القاضي قبحكم الله احدكم يقرأ كتاب الله ولا يعمل به .

وكان رجل كثير المخاصمة لامرأته وله جار يعاتبه على ذلك فلما كان في بعض الليالي خاصمها خصومة شديدة وضربها فاطلع عليه جاره فقال : يا هذا اعمل معها كما قال الله تعالى اما إمساك ايش اسمه او تسريح ما ادري ايش ، يريد الآية الكريمة (إمساك بمعروف او تسريح بإحسان) .

ومما رواه في اخبار المغفلين من رواة الحديث : كان حيان بن بشر قد تولى قضاء بغداد وقضاء اصبهان وكان من جملة رواة الحديث فروى يوماً ان عرفجة قطع انفه يوم الكلام وكان مستمليه رجلاً من اهل كجة فقال : ايها القاضي انما هو الكُلاب فأمر بحبسه فدخل الناس اليه فقالوا : ما دهاك فقال : قطع انف عرفجة في الجاهلية وابتليت انا به في الاسلام .

ومما رواه من اخبار المغفلين من الامراء والولاة : جاء رجل من اشراف الناس الى بغداد فأراد ان يكتب الى ابيه كتاباً يخبره فلم يجد احداً يعرفه فانحدر بالكتاب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى ابيه وقال : كرهت ان يبطيء عليك خبري ولم اجد احداً يجيء بالكتاب فجئت انا به ودفعه اليه . قال ابو عثمان الجاحظ : كان فرارة صاحب مظالم البصرة وكان أطول خلق الله لحية وأقلهم عقلاً وهو الذي قال فيه الشاعر :

ومن المظالم ان تكو ن على المظالم يا فراره

واخذ يوماً من شعره فدعا بمرآة فنظر فيها فقال للحجام : اما شعر رأسي فقد جودت اخذه ولكنك والله يا ابن الخبيثة سجحت على شاربي ووضع يده عليه . وسمع فراره يوماً صياحاً فقال : ما هذا الصياح فقال قوم : يتكلمون في القرآن فقال : اللهم أرحنا من القرآن . قال المؤلف : وبلغنا ان يزيد بن المهلب ولى اعرابياً على بعض كور خراسان فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر وقال : الحمد لله ثم ارتفع عليه وقال : أيها الناس اياكم والدنيا فانكم لم تجدوها الا كما قال الله تعالى وما الدنيا بباقية لحي وماحيٌّ على الدنيا بباقي

فقال كاتبه : أصلح الله الامير ، هذا شعر قال : فالدنيا باقية على احد قال : لا قال : فيبقى عليها احد قال : لا قال : فما كلفتك اذن . وبلغنا ان بعض العرب خطب في عمل وليه فقال في خطبته : ان الله خلق السموات والارض في ستة اشهر فقيل له في ستة ايام فقال : والله اردت ان اقولها ولكن استقللتها . قال : حدثنا ابو بكر النقاش قال : كتب كاتب منصور بن النعمان اليه من البصرة انه أصاب لصاً فكره الاقدام على قطعه دون الاستطلاع على امره وانه خياط فكتب إقطع رجله ودع يده فقال : ان الله امر بغير ذلك فكتب اليه أنفذ ما أمرتك به فان الشاهد يرى مالا يرى الغائب . واتى منصوراً نخاس ببغل فقال : هذا شراؤه اربعون ديناراً فقال : لا تربح عليّ شيئاً هذه المرة ، يا غلام اعطه الفاً وخمسمائة دينار . ودخل على المأمون فقال : يا امير المؤمنين الموت فاشٍ بالكوفة ولكنه سليم . ودخل على احمد بن ابي حاتم وهو يتغدى برؤوس فقال له احمد هلم يا اباسهل فانها رؤوس الرُّضَّع فقال هنيئاً أطعمنا الله واياك من رؤوس اهل الجنة . وقال له المأمون يا منصور قد مدت دجلة فأشر علينا فقال تكري مائة سقاء يسقون ذا الماء يرشون الطريق فقال له المأمون حرت فيك . كتب حيان عامل مصر الى عمر بن عبد العزيز ان الناس قد أسلموا فليس من جزية فكتب اليه عمر ابعد الله الجزية ان الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً للجزية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حدثنا ابوعلي محمدبن الحسن الكاتب قال كنت اكتب لابي الفضل بن غلاب وهو بأرّجان ينقلدها فقيل له قدقدم ابوالمنذر النعمان بن عبدالله يريدفارس والوجه ان تلقاه في غد وكان ابن الفضل يحمّ حمّى الربع فقال كيف اعمل وغداً يوم حمّاي ولا اتمكن من الرجل ولكن الوجه ان أُحمّ الساعة حتى اقدر عليه غداً ياغلام هات الدواح حتى أُحم الساعة فاذا عنده انه اذا اراد ان يقدم نوبة الحمى ويصح غداً تأخرت عنه الحمى . ودخل شجاع بن القاسم على المستعين مرة وطرف ثيابه مخرق فسأله عن سبب ذلك فقال اجتزت في الدرب وكان فيه كلب فوطئت قفاه فخرق دني فما تمالك المستعين ان ضحك .

وروى ابوالحسن محمدبن هلال الصابي قال خرج قوم من الديلم الى اقطاعهم فظفروا باللص المعروف بالعراقي فحملوه الى الوزير ابي عبدالله المهلبي فتقدم باحضار ابي الحسين احمد بن محمد القزويني الكاتب فكان ينظر في شرطة بغداد فقال المهلبي: هذا اللص العيار العراقي الذي عجزتم عن اخذه فخذه واكتب خطك بتسليمه فقال السمع والطاعة الى مايأمر به الوزير ولكنك تقول ثلاثة وهذا واحد فكيف اكتب خطي بتسليم ثلاثة فقال ياهذا ، هذا العدد صفة لهذا الواحد . فكتب يقول احمدبن محمدالقزويني الكاتب تسلمت من حضرة الوزير اللص العيار العراقي وهم رجل واحد وكتب بخطه في التاريخ فضحك الوزير وقال لنصراني هناك قد صحح القزويني مذهبكم في تسليم هذا اللص .

وحضر بعض حكماء الهند مع وزير ملكهم وكان الوزير ركيكاً فقال للحكيم ماالعلم الاكبر قال : الطب قال : انياعرف من الطب اكثره قال : فما دواء المبرسم ايها الوزير قال دواؤه الموت حتى تقل حرارة صدره ثم يعالج بالادوية الباردة ليعود حيّاً قال ومن يحييه بعدالموت ؟ قال هذا علم آخر وجد في كتاب النجوم ولم انظر في شيء منه الافي باب الحياة واني وجدت في كتاب النجوم ان الحياة للانسان خير من الموت فقال الحكيم أيها الوزير الموت على كل حال خير للجاهل من الحياة . وانشد عبد الله بن فضلويه عامل قرمسين في مجلسه والمجلس غاص باهله هذا البيت :

يوم القيامة يوم لا دواء له الاالطلاء والااللهو والطرب

فقال بعض الحاضرين انما هو يوم الحجامة فقال اعذروني اني لا أُحسن النحو .

وذكر ابن الجوزي في اخبار المغفلين من القضاة حدث عبد الرحمن بن مسهر قال ولاني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

القاضي ابو يوسف القضاء بجبّل وبلغني ان الرشيد منحدر الى البصرة فسألت اهل جبّل ان يثنوا عليّ فوعدوني ان يفعلوا ذلك ونفرقوا فلما آيسوني من انفسهم سرحت لحيتي وخرجت فوقفت له فوافى وابو يوسف في الحراقة فقلت ياامير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبّل قد عدل فينا وفعل وصنع وجعلت أثني فرآني ابو يوسف فطأطأ رأسه وضحك فقال له هرون م تضحك فقال ان المثني على نفسه هو القاضي فضحك هرون حتى فحص برجليه وقال هذا شيخ سخيف سفلة فاعزله فعزلني ٠

حدثنا الحسين بن جعفر الكوكبي قال حدثنا ابوالفضل الربعي قال حدثنا ابي قال سأل المأمون من أهل حمص عن قضاتهم قال ياامير المؤمنين ان قاضينا لا يفهم واذا فهم وَهِم قال ويحك وكيف هذا قال قدّم اليه رجل رجلاً فادعى عليه اربعة وعشرين درهماً فأقر له الآخر فقال له: اعطه قال اصلح الله القاضي ان لي حماراً اكتسب عليه كل يوم اربعة دراهم أنفق على الحمار درهماً وعليّ درهماً وادفع له درهمين حتى اذا اجتمع ماله غاب عني فلم أره فانفقها وما اعرف الا ان يحبسه القاضي اثني عشر يوماً حتى أجمع له اياها فحبس صاحب الحق حتى جمع ماله واعطاه فضحك المأمون وعزله ٠

حدثنا ابوبكر النقاش قال انبأنا ابو حاتم قال حكى ابو الخير الخياط عن بعض أصحابه قال دخلت تاهورت فاذا فيها قاضي من اهله وقد اتى رجل جنى جناية ليس لها في كتاب الله حد منصوص ولا في السنة فأحضر الفقهاء فقال ان هذا الرجل جنى جناية وليس لها في كتاب الله حكم معروف فما ترون فقالوا باجمعهم : الامر لك قال فاني رأيت ان اضرب المصحف بعضه ببعض ثلاث مرات ثم افتحه فما خرج من شيء عملتُ به قال له وفقت ففعل بالمصحف ما ذكر ثم فتح فخرج قوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) فقطع انف الرجل وخلى سبيله ٠

وذكر في باب المغفلين من الكتاب والحجاب : نابت الحجاج في صديق له مصيبة ورسول عبد الملك شامي عنده فقال الحجاج ليت انساناً يعزيني بابيات فقال الشامي اقول قال قل فقال : وكل خليل سوف يفارق خليله بموت او بصلب او يقع من فوق البيت او يقع البيت عليه او يقع في بئر او يكون شيئاً لا نعرفه فقال الحجاج قد سليتني عن مصيبتي باعظم منها في امير المؤمنين اذ وجّه مثلك رسولاً ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتب رجل من البصرة الى ابيه كتبت اليك يا ابي ونحن كما يسرك والله بحوله وقوته لم يحدث علينا بعدك الا كل خير الا ان حائطاً لنا وقع على امي واخي الصغير واختي والجارية والحمار والديك والشاة ولم يفلت غيري ٠

وذكر في اخبار المغفلين من المؤذنين ٠ كان سعيد بن سنان ابو مهدي مؤذناً بجامع حمص وكان شيخاً صالحاً يسحّر الناس في رمضان فيقول في تسحيره يا اهل حمص استحثوا قُديرانكم عجلوا في اكلكم قبل ان أُأذن فيسخم الله وجوهكم ٠ ومن اخبار المغفلين من الائمة : مر رجل بامام يصلي بقوم فقرأ الم غلبت الترك فلما فرغ قلت يا هذا انما هو غلبت الروم فقال كلهم أعداء لا نبالي من ذكر منهم ٠ قال الجاحظ اخبرني ابو العنبس قال كان رجل طويل اللحية احمق جارنا وكان أقام بمسجد المحلة يعمره و يؤذن فيه و يصلي وكان يعتمد السور الطوال و يصلي بها فصلى ليلة بهم العشاء فطوّل فضجوا منه وقالوا اعتزل مسجدنا حتى نقيم غيرك فانك تطول في صلاتك وخلفك الضعيف وذوالحاجة فقال لا اطول بعد ذلك فتركوه فلما كان من الغد أقام وتقدم فكبر وقرأ الحمد ثم افكر طويلاً وصاح بهم ايش تقولون في عبس فلم يكلمه احد الا شيخ أطول لحية منه وأقل عقلاً فانه قال كيسة مرّ فيها ٠

ومن اخبار المغفلين من الاعراب قدم اعرابي على بعض اقاربه بالبصرة فدفعوا له ثوباً ليقطع منه قميصاً فدفع الثوب الى الخياط فقدّر عليه ثم خرق منه قال لم خرقت من ثوبي قال لا يجوز خياطته الا بتخريقه وكان مع الاعرابي هراوة من ارز فشج بها الخياط فرمى بالثوب وهرب فتبعه الأعرابي فأنشد يقول :

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله ... فيما مضى من سالف الاحقاب
من فعل علج جئته ليخيط لي ... ثوباً فمزقه كفعل مصاب
فعلوته بهراوة كانت معي ... فسعى وأدبر هارباً للباب
أيشق ثوبي ثم يقعد آمناً ... كلا ومنزل سورة الأحزاب

خرج قوم من قريش الى ارضهم وخرج معهم رجل من بني غفار فأصابهم ريح عاصف يئسوا معها من الحياة ثم سلموا فأعتق كل رجل منهم مملوكاً فقال ذلك الاعرابي اللهم لا مملوك لي أُعتقه ولكن امرأتي طالق لوجهك ثلاثاً ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كان رجل من الاعراب يعمل في معمل الذهب فلم يصب شيئاً فأنشأ يقول :

يا رب قدّر لي في هماس وفي طلابي الرزق بالتماس
صفراء تجلو كسل النعاس

فضربته عقرب صفراء اسهرته طول ليله وجعل يقول : يا رب الذنب لي اذ لم أبين لك ما أريد اللهم لك الحمد ولك الشكر فقيل له : ما تصنع اما سمعت انه يقول : « ولئن شكرتم لأزيدنكم » فوثب جزعاً وقال لا اشكر الا شكراً (؟) قال بعض الاعراب : لنا تمر تضع التمرة في فيك فتبلغ حلاوتها الى كعبك . قرأ امام في صلاته إنا أرسلنا نوحاً الى قومه فأرتج عليه وكان خلفه اعرابي وقال : لم يذهب نوح فأرسل غيره وأرحنا . كان اعرابي يقول : اللهم اغفر لي وحدي فقيل له : لو عممت بدعائك فان الله واسع المغفرة فقال اكره ان اثقل على ربي . كان لبعض المغفلين حمار فمرض الحمار فنذر ان عوفي حماره صام عشرة ايام فعوفي الحمار فصام فلما تمت مات الحمار فقال يا ربي كأنك تلهيت بي ولكن رمضان الى هنا يجيء والله لاخذن من نقاوته عشرة ايام لا اصومها . كان اعرابي يصلي فأخذ قوم يمدحونه ويصفونه بالصلاح فقطع صلاته وقال مع هذا اني صائم . قال بعض الاعراب اللهم أمتني ميتة ابي قالوا وكيف مات ابوك قال اكل بلحاً وشرب عسلاً ونام في الشمس فلقي الله وهو شبعان ريان دفيان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net